



أثر القرآن الكريم في تنمية الملكة النحوية

علي نور الدين سالم كمبه

قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب / جامعة مصراته – ليبيا

The Influence of the Holy Quran on Developing Grammatical Intuition

Ali NOUREDDIN SALEM KAMBA

Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Misrata University –
Libya

a.kamba@art.misurata.edu.ly

الملخص

تتمحور فكرة البحث على أثر القرآن الكريم على تنمية الملكة النحوية من خلال التدبر في معاني القرآن، والتدقيق في دلالة كل كلمة في الآية ومفهومها وموقعها والسياق التي وردت فيه، وما يترتب على كل هذه المعطيات من معاني، فالتدبر والتمحص في الآية وبيان مفهومها مرة بعد مرة في القرآن تتولد منه تنمية للملكة النحوية وهي القدرة على الفهم ومعرفة توجه المعاني من خلال الإعراب والتدبر في القرآن، وبعد المران من كثرة التلاوة التدبر تتولد هذه الملكة ويصبح القارئ له القدرة على الفهم الدقيق للقرآن. الكلمات المفتاحية: الملكة النحوية، التدبر النحوي، السليقة اللغوية، اللحن.

Abstract:

This research explores how the Holy Quran contributes to the development of "grammatical intuition", an innate grasp of linguistic structure, through the deep contemplation of its meanings. It examines the significance of each word within a verse, considering its specific denotation, its function, its placement, and the broader context in which it appears. By repeatedly reflecting upon and scrutinizing verses to uncover their underlying concepts, one cultivates this grammatical intuition, the capacity to discern the intended meaning through an understanding of syntactic structure (*i'rāb*) and profound reflection. Through consistent practice, involving frequent recitation and contemplation, this intuition takes root, ultimately enabling the reader to achieve a precise and nuanced understanding of the Glorious Quran.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، علمه البيان وأنزل إليه القرآن، وأرسل إليه محمدا صلى الله عليه وسلم ليخرجه من الظلمات إلى الهدى والنور والبيان. وبعد..

تعدُّ اللغة العربية، وخصوصاً علم النحو، من أبرز العلوم التي تعكس عمق الفكر والقدرة التعبيرية لدى الإنسان، وقد جاء القرآن الكريم بلغة فصيحة وجمل محكمة، تحمل في طياتها قواعد النحو والبلاغة، ما يجعله مرجعاً غنياً لتطوير الملكة النحوية لدى الدارسين، ومن هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى دراسة أثر القرآن الكريم في تنمية الملكة النحوية، مع التركيز على الأساليب القرآنية والآيات التي توضح هذه العلاقة.

فيما أن القرآن الكريم هو المنار والسبيل الأول لكل فلاح، وطريق لكل نجاح، وهو المرشد لكل من رام السداد في الدين والدنيا من سلامة العقيد، ولغة الأقحاح، ففيه البيان والنور، والهدى والسرور، والعلم والحضور، فيه خبر من سبق، وحكم ما لتوه فتيق، ونبا ما في غدنا ينبثق، فكيف لا وهو الكتاب المنزل من حكيم خبير عالم بعبادة وبأحوالهم بصير، وعليه فإن القرآن أصل لكل علم، وتلاوته وتكراره أصل لكل فائدة، ومن بين هذه الفوائد الجمه تنمية القدرة العقلية على القياس والتدبر، إذ من داوم على تكراره وقراءته لا بد وأن نبوغه في اللغة يظهر، ولذا فقد اخترت لهذا البحث عنوانه وهو (أثر القرآن الكريم في تنمية الملكة النحوية)؛ لأن مدار فهم القرآن يقوم على فهم علم النحو، وإن فصاحة القرآن وبلاغته وفهم معناه صار اليوم يختبئ وراء الفهم الصحيح للنحو العربي بعد فساد الألسن وتيهان العقلية

العربية بين اللغات وسماع مختلف الألسنة، وضياح السليقة العربية، حتى صعبت العديد من الآيات على كثير من العقول، فصار القارئ العربي يطلب فهمها من علماء التفسير والمطلعين على اللغة، بعد أن صار اللغة قواعد تدرس بعد أن كانت ملكة يسترضعها الطفل العربي من حليب أمة، وتتشفها آذانه من حديث أهل بيته لغة قحة سليمة المنطق، فأصبح الواقع العربي في حاجة ملحة إلى من يفعل فينا تلك الملكة الأم، وذلك الفكر المتصل باللغة الفصحى؛ لفهم ما نزل من القرآن الذي نزل باللغة العربية وهي في أوج قوتها وعظمتها، فكان لابد لنا من الوقوف على من يعيننا إلى ذلك المستوى القوي من التدبر وفهم اللغة، فما وجدت إلا القرآن الكريم ودوره في تنمية الملكة أو العقلية النحوية. عنوانا بحث ألتمس في طرقا لتنمية الملكة النحوية التي هي الأساس للتأمل والتدبر والتقدير، وبتكرارها واستحضار المعاني وتأويلها تنشط الملكة أو القريحة النائمة في اللسان العربي.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة فصلين وخاتمة

المقدمة وقدمت فيها للبحث وأهميته وإشكاليته وربط المقدمة بالإشكالية وأهدافه.

والفصل الأول الإطار المفاهيمي للملكة النحوية، وفيه عدة مباحث

المبحث الأول: تعريف الملكة لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف الملكة النحوية عند العلماء.

المبحث الثالث: مكونات الملكة النحوية.

المبحث الرابع: نشأة الملكة النحوية وبدء ظهورها.

المبحث الخامس: جهود العلماء الأوائل في حماية الملكة

الفصل الثاني دور القرآن في تنمية الملكة النحوية

المبحث الأول: أثر التلاوة في تدبر المعاني

المبحث الثاني: نماذج من التدبر النحوي في القرآن.

الخاتمة والتوصيات + المصادر + الفهرس

أهمية البحث

تنبع هذا البحث أهميته من الدور الحيوي الذي يمثله القرآن الكريم في تنمية الملكة النحوية لدى المتعلمين، فالاهتمام بالقراءة والتدبر في القرآن لا يقتصر على الجانب الروحي والديني فحسب، بل يمتد ليؤثر إيجاباً على الجانب اللغوي والنحوي للفرد، وتتضح أهمية هذا البحث من كونه يتناول جانباً لغوياً وتربوياً بالغ الحساسية في حياة الأمة، وهو أثر القرآن الكريم في تنمية الملكة النحوية؛ إذ يجمع بين قداصة النص القرآني وعمق اللغة العربية في أرقى صورها، ودراسة أثر القرآن في تنمية الملكة النحوية تساعد على:

- توضيح العلاقة بين النص القرآني واللغة العربية: إذ يُبرز البحث كيف يسهم القرآن في تثقيف المتعلم بالقواعد النحوية من خلال سياقه القرآني الفريد.
- تطوير مهارات اللغة والنحو عند المتعلمين: حيث يساعد التدرب على أساليب القرآن في تحسين الأداء النحوي واللغوي، ويقوي الفهم القرآني والتحليلي للنصوص.
- الإسهام في البحث العلمي واللغوي: إذ يفتح المجال لدراسات علمية تربط بين علوم القرآن واللغة العربية، مما يثري المكتبة العربية ويضيف رؤية جديدة للمعلمين والباحثين.
- الارتقاء بالقدرات الفكرية واللغوية: فالاطلاع على القرآن وتحليله النحوي يعزز التفكير النقدي والقدرة على صياغة اللغة بدقة، وهو ما يعكس أثره الإيجابي على الملكة النحوية.

إشكالية البحث:

تتجلى أهمية دراسة أثر القرآن الكريم في تنمية الملكة النحوية في تسليط الضوء على العلاقة الوثيقة بين النص القرآني والقدرة على فهم النحو واكتساب المهارات اللغوية، فبالرغم من كون القرآن الكريم مصدراً غنياً بالبلاغة والبيان والأساليب اللغوية المتنوعة، يظل التساؤل قائماً حول مدى فعالية هذا المصدر في تطوير الملكة النحوية لدى المتعلم، خاصة في ظل وجود مناهج تعليمية حديثة تعتمد على القواعد المجردة والنماذج الاصطلاحية.

فكيف يمكن للآيات القرآنية، بأساليبها البلاغية واللغوية المختلفة، أن تسهم في تعزيز فهم القواعد النحوية وتطبيقها بطريقة صحيحة وفعالة؟ وما هي الأساليب والآليات التي يمكن من خلالها استثمار القرآن الكريم في تعليم النحو، سواء على مستوى التحليل النحوي أو ممارسة اللغة واكتساب ملكة التعبير؟

كما يثير البحث سؤالاً حول مدى قدرة القرآن الكريم على ربط المعرفة النحوية بالوعي اللغوي العام لدى الطالب، بحيث لا يقتصر التعلم على الحفظ والتكرار، بل يتطور إلى ملكة لغوية تمكن المتعلم من الفهم والتطبيق والإبداع في اللغة، ومن هنا يبرز هدف البحث في توضيح دور القرآن الكريم في تنمية الملكة النحوية، مع استعراض الأمثلة والآيات الدالة على ذلك، وتحليل أثرها في تنمية مهارات الطالب اللغوية.

ربط المقدمة بالإشكالية:

إن الاهتمام بالقرآن الكريم كمصدر لغوي لا يقتصر على كونه نصاً دينياً، بل يتعداه ليصبح أداة فعالة في تعزيز القدرات النحوية واللغوية، ومن هنا تنبثق إشكالية البحث، والتي تتمثل في مدى قدرة القرآن الكريم على تنمية الملكة النحوية لدى المتعلم، وكيفية استثمار أساليبه وبلاغته في تعليم النحو بشكل فعال، بما يربط بين النظرية والتطبيق اللغوي ويعزز الفهم والتعبير.

أهداف البحث

- تحديد مفهوم الملكة النحوية وأهميتها في تعلم اللغة العربية.
- دراسة الأساليب القرآنية التي تدعم تنمية الملكة النحوية.
- تحليل كيفية استثمار القرآن الكريم في تعليم النحو وتطبيقه عملياً.
- إظهار العلاقة بين التحليل النحوي والوعي اللغوي العام للمتعلمين.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للملكة النحوية

المبحث الأول: تعريف الملكة لغةً واصطلاحاً

الملكة في اللغة العربية تعني القوة والاستعداد الراسخ. جاء في المعجم الوسيط: "(الملكة) صفة راسخة في النفس أو استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة مثل الملكة العديدة والملكة اللغوية"¹. وذكر الجرجاني في كتابه التعريفات "هي صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة: كيفية نفسانية، وتسمى: حالة، ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة، وبالقياص إلى ذلك الفعل: عادةً وخلقاً"². ويعرفها ابن خلدون بأنها: "والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته"³. ويعرفها النكري بأنها: "الملكة: صفة راسخة للنفس فإن للنفس تحصل هيئة أي صفة يسبب فعل من الأفعال ويُقال لتلك الهيئة عند الحكماء كيفية نفسانية ثم هي تسمى حالة ما دامت سريعة الزوال. فإذا صارت بطيئة الزوال وحصل لها الرسوخ بالتكرار وممارسة النفس بها تسمى ملكة"⁴.

المبحث الثاني: تعريف الملكة النحوية عند العلماء

أما في الاصطلاح النحوي، فقد عرّفها العلماء بأنها القدرة على استخدام اللغة بشكل صحيح وطبيعي دون تكلف، حيث قال الصبان في حاشيته على الأشموني: "كإطلاقه على الملكة أي الكيفية الراسخة في النفس التي يقتدر بها على استحضار ما كانت علمته واستحصال ما لم تعلمه"⁵. وعند علماء اللغة هي "القدرة على تطبيق القواعد النحوية في الكلام والكتابة بشكل سليم"⁶.

وقد أكد ابن خلدون في مقدمته أن الملكة النحوية إنما هي بالمران والتمرس حيث قال: "أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه. ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالف عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد

1 . انظر المعجم الوسيط 2/886.

2. انظر التعريفات 229.

3 . انظر مقدمة ابن خلدون 332

4 . انظر دستور العلماء للنكري 228/3 .

5. انظر حاشية الصبان 23/1.

6. انظر حاشية الصبان 23/1.

على نحو كلامهم⁷. وصرح بأن النحو وسيلة لتكوين الملكة اللغوية، لا غاية في حد ذاته⁸ وقال التفنازاني: "فالمراد بالعلم هنا الملكة التي يقتدر بها على الإدراكات الجزئية لا نفس الإدراك، ولا يخفى أنها جهة وطريق إلى الإدراك كالحياة"⁹. ومن هذه التعريفات نستنتج بأن الملكة هي القدرة التي ميز الله بها عبده عن غيره في سرعة التصور والحفظ والاستجماع الفكري لكل ما هو مرتبط بموضوع اللحظة، والقدرة على التعبير عنه، وبناء القرارات السريعة المتوافقة مع ما تتطلبه اللحظة من قول أو عمل، أو نستطيع القول بأن الملكة هي استحضار سريع وقوي لكل ما مر على الفرد من خلال حفظ وسمع وقراءة واستعمال ما يصلح منه لموقف معين، وهذه الملكة تحصل بالدربة والمران والحفظ. ونحن إذ نعتني هنا بالملكة النحوية فنقول أن الملكة النحوية هي ذلك القدر من القواعد النحوية سواء أكانت السمعية أو الحفظية أو التي اكتسبت من كثرة القراءة والاطلاع وحضورها في موقف استعمالها كلاماً أو كتابة فيتصورها المتكلم أو الكاتب، ويختار منها ما يلزم لحاله في لحظته بسرعة ودون تكلف فيخرج بنص رائق مسبوك لغوياً ونحوياً من غير استنساخ لقول غيره، وإنما هو من نسج ملكته مقتبساً منها مما حفظه فيها من قواعد.

المبحث الثالث: مكونات الملكة النحوية

تتكون الملكة النحوية من ثلاثة عناصر رئيسية:

المعرفة بالقواعد النحوية:

وهي الأساس الذي يُبنى عليه، إذ لا يتصور أن يكون الإنسان نحوياً وهو لا يدرك القواعد النحوية ولم يدرس النحو العربي

القدرة على تطبيق القواعد:

أي القدرة على استخدام القواعد في الكلام والكتابة، وهذه القواعد التي درسها لا بد له من التدرب على تطبيقها على نصوص الكلام العربي، وهذا يحتاج إلى الدربة بأن يطبق ويعمل تطبيقه مستشهداً ومنزلاً القواعد في محلها، قال ابن خلدون: "وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان فإن هذه القوانين إنما تفيد علماً بذلك للسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها، وقد مر ذلك. وإذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجود النظم، وحسن تركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم. ولو رام صاحب هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصصة، لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه؛ لأنه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده، وإذا عرض عليه الكلام، حائداً عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجه، وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم، وإنما يعجز عن الاحتجاج بذلك، كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيان، فإن ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء، وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب، حتى يصير كواحد منهم"¹⁰.

الذوق اللغوي:

وهو الإحساس السليم بالتركيب اللغوي السليم، وهذا الإحساس يأتي بعد التمكن من قواعد اللغة وانطباعها في ذوق المتعلم، حتى يصير ملكته وفكره وذوقه لا يقبل اللحن في الكلام وينفر منه بالطبيعة، والدليل على ذلك ما كان يحصل من حديثي عهد بالإسلام عندما سمعوا من يلحق في القرآن في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾¹¹ بالجر لرسوله، فقال الرجل إذا برئ الله من رسوله فأنا أبرأ منه كذلك، فهذه هي السليقة السليمة التي صدرت من ملكة لا تقبل الخطأ من دون معرفة بالقواعد؛ لأن القواعد لم تكن عرفت أثناء هذه الحادثة.

7. انظر مقدمة ابن خلدون 512.

8. انظر مقدمة ابن خلدون 386.

9. انظر مختصر المعاني 179.

10. انظر (مقدمة ابن خلدون 513).

11. سورة التوبة من الآية 3.

المبحث الرابع: نشأة الملكة النحوية وبدء ظهورها.

أولاً: البدء والظهور

كان العرب في الجاهلية يتحدثون العربية سليقة، أي بدون تعلم قواعد النحو، ولكن مع انتشار الفتوحات واختلاط العرب بغيرهم، بدأ اللحن يظهر في اللغة، مما استدعى الحاجة إلى وضع قواعد لحفظ اللغة وبما أن الله قد تعهد بحفظ كتابه فقد هيا له من الظروف والوقائع ما كانت سببا في تقعيد القواعد، يقول ربنا في كتابه ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾¹² فلقد ارتبط فهم كتاب الله تعالى عند دارسيه، وتصنيف أحكامه، وتذوق معانيه بفهم اللغة العربية، وعلم النحو على وجه التخصيص، فالنحو هو العلم الأول الذي جاء في خدمة القرآن وبيان تراكيبه، وإيضاح أحكامه، إذ أن العلماء يجمعون على أن سبب وضع النحو وضبط أواخر الكلمات وانتهاج سمت العرب في كلامها، هو ظهور اللحن بفساد الألسنة واختلالها، بعد أن انبج الإسلام وكثر الداخلون فيه من كل الأجناس عربهم وعجمهم، حتى صار الأقحاح يختلطون بالأعاجم وبدأ الفساد واللحن يظهر على اللسان العربي، فقد بدأ بدءاً مبكراً منذ عهد رسول الله ﷺ فقد روى أن أحد الناس لحن في مجلس الرسول ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام ﷺ «أرشدوا أخاكم فقد ضل»¹³ إلى أن وصل اللحن بالعرب عند قراءة القرآن، والحادثة المشهورة من أن أعرابيا في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من يقرئني مما أنزل على محمد ﷺ قال: فأقرأه رجل براءة فقال إن الله بريء من المشركين ورسوله بالجبر فقال الأعرابي أو قد برئ الله من رسوله! فإن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن؛ فسألت من يقرئني؛ فأقرئني هذا سورة براءة فقال إن الله بريء من المشركين ورسوله؛ فقلت أو قد برئ الله من رسوله! إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي قال فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾¹⁴ فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه، فأمر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ألا يقرئ الناس إلا عالم باللغة.

والسبب الآخر في وضع النحو اللحن في قوله تعالى ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾¹⁵ بقراءتها الخاطئين، فعندما سمع الإمام على كرم الله وجهه من قرأها بالنصب أمر أبا الأسود الدؤلي بوضع علم النحو.

المبحث الخامس: جهود العلماء الأوائل في حماية الملكة

هذان النموذجان وغيرهما هما اللذان جعلتا النحو العربي يبرز في الذود عن القرآن ومعانيه، ويتناول العهد وتنتكث أمة محمد ﷺ ويكثر الداخلون في دين الله أفواجا من جميع الأجناس، وبدأت ملامح المذهب البصري تظهر منذ عهد المؤسس للنحو أبو الأسود الدؤلي، إلى أول عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، قال بن خلدون: "وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشياء بالأشياء، مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغيير عاملاً وأمثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو. وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، ويقال بإشارة علي رضي الله عنه؛ لأنه رأى تغيير الملكة، فأشار عليه بحفظها، ففرع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرة، ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل ابن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد، أحوج ما كان الناس إليها، لذهاب تلك الملكة من العرب، فهدب الصناعة وكمل أبوابها، وأخذها عنه سيبويه، فكمّل تفاريحها واستكثر من أدلتها وشواهداها، ووضع فيها كتابه المشهور، الذي صار إماماً لكل

12 . سورة ص من الآية 29.

13 . الحديث في المستدرك على الصحيحين للحاكم حديث: 3577، ونشأة النحو ص7

14 . سورة التوبة من الآية 3 .

15 . سورة الحاقة الآية 37.

ما كتب فيها من بعده، ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتباً مختصرة للمتعلمين، يحذون فيها حذو الإمام في كتابه".¹⁶

الفصل الثاني دور القرآن في تنمية الملكة النحوية

المبحث الأول: أثر التلاوة في تدبر المعاني

أولاً معنى التدبر:

التدبر هو التفكير والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه، وإدراك معانيه، وحكمه، والمراد منه. وقيل: هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكير فيما تدل عليه آياته مَطَابَقَةً، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به مما لم يُعَرَّج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواضعه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه.¹⁷

وتعتبر التلاوة هي الأداة الأولى التي يجب على القارئ أن يقوم بها ليدخل في النص القرآني، ومن ثم يصبح هانئاً بين المعاني التي جاءت من براعة النصوص والتعابير القرآنية، وفصاحة القرآن وبلاغته، وكلما زاد تقدمه في محراب التأمل زاد ارتباطه بالمعاني وعلاقة كل كلمة بأخرى ومن هنا يدخل في أنوار البحث عن المعاني التي يرى أنها لا تشفي غليله من مراد القرآن، فيزداد غوصه فيه، فيحتاج عندها إلى المجاهدة فيه، فيجد نفسه في سياق المجاهدة والمصابرة والعمل على اقتناص اللطائف، والتطهر من معابة التساهل، والتسارع والاستغناء بظاهر النظر، تطبيقاً لقوله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾.¹⁸

وتنشئ الحاجة إلى المصابرة والمجاهدة في التدبر وتحليل التراكيب تحليلًا بيانيًا حين يكون الأمر على وجهين من التأويل أو أكثر.

أحدهما أنسب وأنس بالسياق والمقام والغرض المنصوب له الكلام، وإذا ما كان بيّنًا في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه حتى لا يشكل، وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه وأنه الصواب إلى فكرة وروية في مزية، وكانت المزية تتحقق.

ويجب الفصل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجه آخر، ثم رأيت النفس تنبؤ عن ذلك الوجه الآخر، ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً يعد مهماً إذا أنت تركته إلى الثاني، فإن المجاهدة في التحليل والتأويل حينئذٍ فريضة لا مناص من القيام لها وبها.

ثانياً: شروط التدبر

الشرط الأولي: معرفة أول ما يجب أن يعرفه من قرأ في التفسير، وهو بيان المعنى الجلي؛ لأنه إذا صح له المعنى صار أصلاً صحيحاً يعتمد عليه في الاستنباط وغيره.

الشرط الثاني: معرفة علاقة المعلومات التي يذكرها المفسرون في كتبهم بمفهوم التفسير، وبهذا يستخلص الأصل الذي سبق ذكره في الفائدة الأولى.

الشرط الثالث: معرفة العلوم التي يجب على المتدبر معرفتها، ومعرفة العلوم التي يحتاجها من أراد الزيادة على التفسير، وقد كتب في موضوع العلوم التي يحتاجها المفسر أو المتدبر بعض العلماء، لكنهم توسعوا في طلب هذه العلوم، وجعلوا فيها جملة العلوم الشرعية وعلوم الآلة وغيرها مما يزيد عن حاجة المفسر، وهي إنما يحتاجها من أراد الزيادة عن التفسير، والدخول في التدبر والاستنباط.¹⁹

ومن أول من بيّن هذه العلوم الراغب الأصفهاني (ت: بعد: 400)، فقد ذكرها تحت عنوان: ((بيان الآلات التي يحتاج إليها المفسر))، وقد جعلها عشرة علوم، وهي علم اللغة، والاشتقاق والنحو، والقراءات، والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة.²⁰

الفصل الثاني: نماذج من التدبر النحوي في القرآن.

16 . انظر مقدمة ابن خلدون 353.

17 . انظر الخلاصة في تدبر القرآن 13.

18 . (سورة من الآية 29).

19 . انظر مفهوم التفسير والتأويل 66.

20 . انظر تفسير الراغب الأصفهاني 38/1.

قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

وهي البسملة التي هي في مفتتح كل سورة إلا سورة براءة، وهي آية من سورة النمل، وهي في ظاهرها واضحة بينة الإعراب للوهلة الأولى، فإذا ما تمعن فيها القارئ وجد أن بسم جار ومجرور، ولفظ الجلالة مضاف إليه، والرحمن الرحيم صفتان للفظ الجلالة، فيبقى القارئ في تساؤل هل هذا كل إعرابها، ألا توجد دلالات ومعان فيها؟ ثم أين العمدة في الجملة؟ فإذا ما تأمل أو بحث وجد القول الفصل في إعرابها وهو أن الباء من (بِسْمِ) بنيت على الكسر؛ لكونها لازمة للحرفية والجر، أو لأجل أن المقصود هو التحريك؛ لئلا يلزم الابتداء بالسكان، وإذا تساؤل بم تعلقت الباء؟ فالجواب: بمحذوف، وفيه تقديران:

أحدهما: ابتدائي بسم الله، والتقدير: ابتدائي ثابت أو مستقر بسم الله، فيكون موضعه رفعًا، فيكون التقدير: ابتدائي ثابت باسم الله الرحمن الرحيم.

والتقدير الثاني بمعنى: بدأت، أو أبدأ، فيكون موضعه نصبًا، فيكون تقديره بدأت أو أبدأ باسم الله الرحمن الرحيم، فيكون إعرابها بدأت فعل وفاعل، وبسم جار ومجرور في محل نصب متعلق بـ(بدأت) أو (أبدأ)، وإنما قُدر معنى الابتداء هنا؛ لأن الحال تدل عليه.²¹

ورأى سيويوه رحمه الله أن معنى الباء الإلصاق، تقول: كتبت بالقلم، أي: ألصقت الكتابة به، فالكتابة مُلصقة بالقلم حيث قال: "وباء الجر إنما هي للإلحاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزبدٍ، ودخلت به، وضربت به بالسوط: ألزقت ضربك إياه بالسوط. فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله".²²

ويجوز أن يكون المضمرة المحذوف هنا بتقدير: (أستعين) أي: أستعين بالله الرحمن الرحيم، فيكون قوله (بسم) صلة للمحذوف، وفائدة الصلة: أنها تبين الفرق بين اليمين واليمين، أي بيان الفرق بين القسم والتبرك، أي بين أن تكون البسملة قسما مقسم به، أو تبركا يتبرك بها؛ لأن الاستعانة لا تكون إلا بذكر اسمه سبحانه.²³، وإنما حُذف ما تعلقت به الباء من هذه التقديرات لكثرة الاستعمال، فإن من دأب العرب في لغتهم أن يخففوا ما كثر استعماله، قال الفراء: "وإنما حذفوها من ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أول السور والكتب؛ لأنها وقعت في موضع معروف لا يجهل القارئ معناه، ولا يحتاج إلى قراءته، فاستُخفَ طرحها؛ لأن من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عُرف معناه. وأثبتت في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾؛ لأنها لا تلزم هذا الاسم، ولا تكثر معه".²⁴

فإذا ما استحضر القارئ هذ الصور من التقديرات المحذوفة المقدره قبل قوله باسم وتصور دلالاتها ومعانيها وتذوق جمالها في المعنى، لا شك أن تبلورا سيحصل في تذوق المعاني في مخيلته، وأنها ستكون منشأ لفكر نحوي وملكة نحوية تنقد لمحاولة التصور لكل ما يقابله من كلمات فيها من الإضمار والإعجاز القرآني بما يريح فهمه وتصوره.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾²⁵

ابتدأت السورة بالحمد لله تعالى ووصفه بأنه رب العالمين، ثم ثنت عليه بالوصف بأنه الرحمن الرحيم، وثم أعقبت بقولها ملك يوم الدين، أو مالك يوم الدين إلى أن قال إياك نعبد حيث قدمت المفعول على الفعل وهو نعبد، وعندما يتأمل القارئ إعراب هذه الآية فيجد أن إِيَّاكَ (إِيَّا) وحده اسمٌ ضميرٌ منفصلٌ للمنصوب، والواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك: إياك وإياه، وإياي، لبيان الخطاب والغيبة والتكلم، ولا محل لها من الإعراب، كما لا محل للكاف في (ذلك) و (أَرَأَيْتَكَ)، وليست بأسماء مضمرة، فامتناع الرفع لأنها ليست من ضمائر المرفوع، وامتناع النصب لأنه ليس لها ناصب، وامتناع الجر لأن المضمرة لا تضاف؛ لأنها معارفٌ ولا يفارقها تعريفها، فلا تجوز إضافتها إلى غيرها، وإياك منصوب بوقوع الفعل عليه، وهو ﴿نَعْبُدُ﴾، وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والاهتمام به، كقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾²⁶، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾²⁷.

21 . انظر الكتاب الفريد 54/1.

22 . انظر كتاب سيويوه 217/4.

23 . انظر تفسير الرازي 56/1، وتفسير البضاوي 26/1.

24 . انظر . انظر معاني القرآن للفراء 2/1 .

25 . سورة الفاتحة من الآية 5.

26 . سورة الأنعام من الآية 162.

27 . سورة الزمر 64.

وقال سيبويه في هذا " كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"²⁸. والمعنى: نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة.

وكذلك في قوله وإياك نستعين، فإذا ما قرأ القارئ الآية تسربت إليه خواطر بأهمية التقديم في الآيات، ولماذا لم يقل نعبد إياك على عادة الكلام بتقديم الفعل على المفعول، أما عند ظهور الإعراب لدية وبيان الحكمة من ذلك؛ لأن الملكة عند تنقد لتصور عظمة الخطاب ويكون لها ذلك دربة وممارسة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾²⁹.

فالقارئ للآية يرى منها الفاعل وهو إبراهيم والمفعول به وهي القواعد، وأما إذا أمعن في النظر وجد أن قوله (وإذ يرفع) حكاية حال ماضية، أي واذكر إذ يرفع، وإبراهيم فاعل للرفع إذ أسند إلى الرفع، والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس لما يرفع فوقه، وقوله من البيت في موضع نصب على الحال من القواعد، أي ثابتة من البيت، وإسماعيل عطف على إبراهيم؛ لأن إبراهيم كان يبني وإسماعيل يناوله الحجارة.

فإذا ما تأمل القارئ لهذه الآية وظهر له هذا الإعراب وصات الصورة في ذهنه بمعنى أن إبراهيم وإسماعيل كانا يبنيان البيت ويرفعان القواعد، وإنما قدم القرآن لفظ القواعد مع أنها مفعول به ورتبته التأخير وأخر إسماعيل ورتبته التقديم حرصاً على قاعد وتقديم الأهم أتم، فإن القارئ للآية والمستمع للسرد بعد أن يعلم بقضية الرفع يتلهف قلبه إلى معرفة ما هو المرفوع، فبعد أن يفيد السامع بتمام الصورة يرجع ليخبره بمن كان شريكاً لإبراهيم في الرفع.

وقيل في إعراب قوله تعالى (وإسماعيل) أن الواو للحال، وإسماعيل مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير وإسماعيل يقول ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.³⁰

ومن جعل الواو في وإسماعيل واو الحال، أعرب إسماعيل مبتدأ وأضمر الخبر، التقدير: وإسماعيل يقول: ربنا تقبل منا، فيكون إبراهيم مختصاً بالبناء، وإسماعيل مختصاً بالدعاء. هذا على رأي من قال إن إسماعيل كل صغير ولا يصح أن يكون قد شارك في البناء، ومن ذهب إلى العطف، جعل ربنا تقبل منا معمولاً لقول محذوف عائد على إبراهيم وإسماعيل معاً، في موضع نصب على الحال تقديره: وإذ يرفعان القواعد قائلين ربنا تقبل منا، ويؤيد هذا التأويل أن العطف في وإسماعيل أظهر من أن تكون الواو واو الحال،³¹ فعندما يقرأ الطالب أو القارئ هذا الإعراب ويتلقاه ترتسم الصورة كاملة في ذهنه ويخيل بناء الكعبة أمام ناظريه وبالتالي تنهياً الملكة عنده لقادم الآيات للتدبر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾³².

تسرد هذه الآية قصة سيدنا نوح عليه السلام وهو يخاطب قومه بأنهم رأوا أنه على بينة من ربه، وأنه آتاه منه رحمة، ولكن هذه الرحمة عميت عليهم، فكيف يلزمهم بها وهم لها كارهون، ولكن القارئ عندما يقرأ قوله أنلزمكموها يقف أمام هذا التعبير النادر في اللغة، فيقف متأملاً فتظهر له براعة الخطاب الإلهي عندما يعلم بأن الهمزة في ﴿أَنُلْزِمُكُمْوهَا﴾ للاستفهام ومعناه النفي، أي: لا نلزمكم قبولها، لكرهتكم لها، وماضيه ألزمت، وهو يتعدى إلى مفعولين، تقول: ألزمت فلاناً كذا، والكاف والميم من ﴿أَنُلْزِمُكُمْوهَا﴾ مفعول أول، ودخلت الواو تنمة للميم، وهو الأصل في ميم الجمع، وإنما تحذف تخفيفاً وللعلم بها.

والهاء والألف مفعول ثان، وجيء بهما متصلين جميعاً، ويجوز أن يكون الثاني منفصلاً، كقولك: أنلزمكم إياها، ونحوه: ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ﴾.³³ ويجوز: فسيفيك إياهم.

وفي ﴿أَنُلْزِمُكُمْوهَا﴾ ثلاثة ضمائر: ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب، وهي على ترتيب ما يجب لها، المتكلم أول؛ لأنه أخص بالفعل، ثم المخاطب، ثم الغائب، قال سيبويه في هذا: " وإنما قُبِحَ عند العرب كراهية أن يبدأ المتكلم في هذا الموضع بالأبعد قبل الأقرب، ولكن تقول أعطاك إياي، وأعطاه إياي، فهذا كلام العرب. وجعلوا (إيا)

28 . انظر كتاب سيبويه 34/1.

29 . (سورة البقرة من الآية 127)

30 . انظر الكتاب الفريد 382/1.

31 . انظر البحر المحيط 619/1.

32 . سورة هود الآية 28 .

33 . سورة البقرة من الآية 137.

تقع هذا الموقع إذ قُبِحَ هذا عندهم كما قالوا: إياك رأيتُ، وإياي رأيتُ، إذ لم يجز لهم ني رأيت ولا كَ رأيتُ، فإذا كان المفعولان اللذان تعدى إليهما فعل الفاعل مخاطباً وغائباً، فبدأت بالمخاطب قبل الغائب، فإن علامة الغائب العلامة التي لا تقع موقعها إيا، وذلك قوله: أعطيتُكَ وقد أعطاكهُ، وقال عز وجل: (فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزُلُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)، فهذا هكذا إذا بدأت بالمخاطب قبل الغائب"، وإنما كان المخاطب أولى بأن يُبدأ به من قبل أن المخاطب أقرب إلى المتكلم من الغائب، فكما كان المتكلم أولى بأن يبدأ بنفسه قبل المخاطب، كان المخاطب الذي هو أقرب من الغائب أولى بأن يُبدأ به من الغائب".³⁴

وقرئ: بإسكان الميم الأولى³⁵ هرباً من توالي الحركات، والحركة الإعرابية،³⁶ فإذا ما اطلع القاري على هذا التفصيل وتهيات أمامه معاني كثيرة وبكلمة واحدة وقع في نفسه مثال يحيى دربة الملكة عنده.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ﴾³⁷

يقف كل قارئ للقرآن عند هذه الآية متأملاً ومتسائلاً أين ذهب عمل إن الناصب لاسمها الرافعة لخبرها فإذا ما تأمل وبحث وقف على الآتي وهو أن هذه قراءة واضحة جيدة غير محوجة إلى تكلف في تأويل رفع هذان بعدها؛ لأن (إن) إذا خففت جاز أن لا تعمل النصب في الاسم نحو: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ﴾³⁸، ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾³⁹ ويرتفع ما بعدها على الابتداء والخبر، واللام في الخبر هي الفارقة بين المخففة من الثقيلة وبين النافية، وهذه عبارة البصريين في كل ما جاء من هذا القبيل نحو ﴿وَإِنْ نَطُّكَ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ﴾⁴⁰، ﴿وَإِنْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾⁴¹، والكوفيون يقولون (إن) نافية، واللام بمعنى إلا، أي ما هذان إلا ساحران وكذلك البواقي،⁴² ووجد أن الآية فيها قراءات وأوجه عدة منها: قرأ حفص (إن) بتخفيف النون، و(هذان) بالالف بعدها نون خفيفة، على أن (إن) مخففة من الثقيلة مهمله، و(هذان) مبتدأ، و(لسحران) الخبر، واللام في (لسحران) هي الفارقة بين (إن) المخففة والنافية، وقرأ ابن كثير مثل قراءة حفص، إلا أنه شدد النون من (هذان)، وذلك للتعويض عن ألف المفرد التي حذفت في التثنية، وقرأ أبو عمرو (إن) بتشديد النون، و(هذين) بالياء، على أن (إن) هي المؤكدة العاملة، و(هذين) اسمها، واللام للتأكيد، و(سحران) خبرها، وقرأ الباقر وهم: نافع، وابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف العاشر (إن) بتشديد النون و(هذان) بالالف، على أن (إن) هي الناصبة أيضاً، و (هذان) اسمها، جار على لغة لبني الحارث بن كعب، إذ يلزمون المثني الألف في كل حال.⁴³

وفي هذا قال أما قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ﴾⁴⁴ فأقوى توجيهاتها أنها جاءت على لغة بلحارث بن كعب، وخنعم وزبيد وقبائل آخر، وهم الذين يلزمون المثني الألف كالمقصود في أحواله الثلاث، ويقدرعون إعرابه بالحركات وهي لغة مشهورة، أو أن يقال: اسم إن ضمير الشأن محذوفاً، والجملة من المبتدأ والخبر بعده في محل رفع خبراً لإن، والتقدير: إن الأمر والشأن هذان لهما ساحران.⁴⁵ وقال الخليل ابن أحمد الفراهيدي وقد يكون إن في معنى نعم في بعض لغات العرب،⁴⁶ وصرح الخليل بأن إن تأتي بمعنى ما فقال: "وَأَنَا أَقْرُوهَا إِنْ شِئْتُمْ مُخَفَّفَةً عَلَى الْأَصْلِ

34 . انظر الكتاب لسيبويه 364/2.

35 . انظر الكشف للزمخشري 266.

36 . انظر إعراب القرآن للنحاس 421، ومعاني القرآن للقراء 12/2.

37 . سورة طه 63.

38 . سورة يس 32.

39 . سورة الطارق 4.

40 . سورة الشعراء 186.

41 . سورة يوسف 3.

42 . انظر إبراز المعاني من حز الماني 282/2.

43 . انظر الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر 44/3 .

44 . سورة طه: 63.

45 . (مناهج جامعة المدينة 74.

46 . انظر الجمل في النحو للخليل بن أحمد 157/1.

﴿إِنْ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ﴾ أَي مَا هَٰذَا إِلَّا سَاحِرَانِ". 47 فإذا ما اطلع القارئ على هذا التفصيل وبات له الدرر النحوية من الإعراب اتسعت مداركه، وغادره اللبس، وارتسمت الصورة أمامه، ونمت ملكته.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾⁴⁸

القارئ لهذه الآية الكريمة وهو يتمعن في معناها عن طريق إعرابها يقف عند قوله تعالى (وَأَجَلٌ) وللنظرة الأولى ينظر إلى ما سبقها فيجده منصوبا وهي كلمة (لِزَامًا) فيتيه منه المعنى، ولكن إذا ما تبحر في المعنى ونظر إلى الإعراب بتأن وجد أن إعرابها كالتالي: (كَلِمَةٌ) مبتدأ على مذهب البصريين،⁴⁹ و﴿سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في موضع الصفة للكلمة، والخبر محذوف، والكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، (وَأَجَلٌ) معطوف على (كَلِمَةٌ) أي: ولولا كلمة سابقة من ربك بتأخير العذاب عن أمتك وأجل مسمى، وهو يوم القيامة الذي يقع فيه جزاء كل نفس، لكان لعذاب لازماً لهم، لا يفارقهم كما لم يفارق القرون الماضية.⁵⁰ وبعد أن تتضح الصور لدى القارئ بعلمه أن قوله (وَأَجَلٌ) معطوف على (كَلِمَةٌ) وكلمة مرفوعة بالابتداء؛ لأنها جاء بعد (لولا) ترسم أمامه الجملة على أصل وضعها بتقدير: (ولولا كلمة وأجل سبقت من ربك لكان لزاماً)، عندها يبدأ في التأمل في سبب هذا التقديم لجواب لولا وتأخير المعطوف على المبتدأ بعدها، فيجد أن المعنى هو أن الكلمة التي سبقت من ربك هي من ضمنها وداخل تحتها الأجل المسمى، فكلمة الله التي سبقت بلزوم العذاب والأجل المسمى لهذا العذاب، ولكن بلاغة القرآن وفصاحته اقتضت أن يجعل الجواب بعد أن ذكر كلمة الله وهو لزوم العذاب لهم بقوله: (لكان لزاماً) لكي لا يترك السامع حائراً ينتظر الجواب بعد طول الكلام، وبعد أن أفاد السامع بمراده وأنهى لهف انتظاره أخبر بالأجل المسمى وعطفه على كلمة الله لتكتمل الصورة بأن الله أراد بقوله ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسممة لكان لزاماً، فإذا ما استعمل القارئ فكره لهذا المعنى لاشك أن الملكة عند تتمدد لآية أخرى بهذا التأويل.

النتائج

- من خلال ما سبق وما اتضح من البحث النتائج التالية
- تبين أن الملكة النحوية هي قدرة عقلية راسخة تنشأ من كثرة المراتب على كلام العرب، وهي صفة مكتسبة بالتدرب والاحتكاك بالنصوص الفصيحة، وليست مجرد معرفة نظرية بقواعد النحو.
- يتجلى دور القرآن الكريم بوضوح في تنمية هذه الملكة؛ إذ يُعدُّ أرفع مصدر لغوي يجمع بين الفصاحة والبيان والإعجاز في النظم، مما يجعل الممارسة الدائمة لتلاوته وفهم تراكيبه سبباً مباشراً في رسوخ الملكة النحوية.
- التدبر القرآني لا يقتصر على الجانب الإيماني أو الروحي، بل يشمل جانباً لغوياً نحوياً دقيقاً، يُسهّم في إحياء الحسّ اللغوي والذوق السليم في التراكيب العربية.
- القرآن الكريم مدرسة نحوية تطبيقية؛ فمن خلال تتبع تراكيبه المتنوعة وأساليبه الرفيعة، يتدرب القارئ على فهم القواعد في سياقاتها العملية، لا في صورتها النظرية الجامدة.
- تكرار القراءة والتأمل في وجوه الإعراب القرآني يولّد عند الدارس ملكة نقدية وتمييزاً بين الصحيح والفساد في التركيب، كما يوسع أفقه في إدراك العلاقة بين المعنى والإعراب.
- العلماء الأوائل حين وضعوا قواعد النحو إنما استقوها من كلام الله وكلام العرب، فجعلوا القرآن مصدراً للتفريد والتعليم، فكان بذلك النحو خادماً للقرآن، والقرآن مربياً للملكة النحوية.
- النص القرآني يثري الحسّ النحوي من خلال ما فيه من أساليب بلاغية ونظم تركيبية متنوعة، كالتقديم والتأخير، والحذف والتقدير، والتوكيد، وهي كلها صور تفتح آفاقاً جديدة في التفكير النحوي.
- ارتباط النحو بالقرآن ارتباط عضوي؛ فكلما ازداد المسلم تدبراً للقرآن، ازدادت قدرته على الفهم الصحيح للغة، وصار أكثر إحاطة بذوق العرب وأساليبهم.
- التدبر النحوي للقرآن الكريم يُعيد للأذهان مفهوم الملكة كما كانت عند العرب الأوائل، ويقضي على الجمود الذي أصاب النحو في مراحل المتأخرة.

47 . انظر (الجمل في النحو 1/159).

48 . سورة طه من الآية 129 .

49 . انظر (الإنصاف 1/62).

50 . انظر الكتاب الفريد 4/466.

التوصيات

- الاهتمام بتدريس النحو القرآني التطبيقي في المؤسسات التعليمية، وربطه مباشرة بالآيات القرآنية، ليكون التعليم أكثر فاعلية وحياء.
- تفعيل التدبر النحوي في حلقات تحفيظ القرآن لتربية الملكة اللغوية إلى جانب التلاوة، وجعل المتعلمين يتذوقون جمال التركيب القرآني.
- تشجيع الباحثين على دراسة العلاقة بين النحو والتفسير من خلال مشاريع بحثية مشتركة تجمع بين علماء النحو والتفسير وعلوم اللغة.
- إعداد مناهج دراسية معاصرة تعتمد على تحليل تراكيب القرآن الكريم لتقوية الحسّ النحوي لدى الطلبة بدل الاقتصار على حفظ القواعد.
- إحياء كتب الأوائل التي جمعت بين النحو والتدبر القرآني، مثل "معاني القرآن للفراء، و إعراب القرآن للزجاج، و الكتاب لسيبويه، في الدراسات الجامعية.
- الاستفادة من التقنيات الحديثة لإعداد منصات رقمية تفاعلية تُعنى بتدبر الإعراب القرآني وتنمية الملكة اللغوية عبر تمارين وسياقات واقعية.
- حثّ الدارسين وطلاب العربية على الممارسة اليومية للقراءة المتأنية في القرآن مع النظر في تراكيبه، لتصبح القواعد ممارسة حيّة لا حفظاً جامداً.
- توجيه البحوث المستقبلية لدراسة أثر القرآن في تنمية الملكات الأخرى كملكة البلاغة وملكة البيان وملكة التفكير اللغوي.

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز والتحليل المفصل لما تضمنه هذا البحث من قضايا تتصل بأثر القرآن الكريم في تنمية الملكة النحوية، يتبيّن أنّ القرآن الكريم هو المنبع الأصيل للملكة اللغوية والنحوية عند العرب والمسلمين، فهو الذي حفظ للعربية نقاءها وصفاءها، وأرسى في النفوس ملكة البيان والتفكير اللغوي السليم. وقد كان لتلاوته وتدبر تراكيبه وأساليبه أبلغ الأثر في صقل أذهان المتعلمين، وتنمية القدرة على الفهم والتحليل والاستنباط.

وقد تبين من خلال الدراسة أن الملكة النحوية لا تُكتسب بمجرد حفظ القواعد، وإنما تُنمى بالممارسة والتفاعل مع النصوص العربية الفصيحة، وفي مقدمتها النص القرآني، الذي يجمع بين فصاحة الألفاظ ودقة التراكيب وعمق المعاني. ومن ثم فإن الرجوع إلى القرآن الكريم والتعامل معه تعاملًا نحويًا تدبريًا يعيد إلى ذهن العربي صفاء الأول ويقوّي في الألسنة العربية ملكة الصواب والدقة.

كما أظهرت الدراسة أن علماء النحو الأوائل لم ينفصلوا في تفعيمهم عن القرآن الكريم، بل كان هو المنطلق والأساس لكل قاعدة نحوية استنبطوها، ولذلك ظل النحو مرتبطاً بالقرآن ارتباطاً وثيقاً، يخدمه ويُستمد منه في الوقت ذاته.

وخلاصة القول: إنّ القرآن الكريم ليس كتاب دين وعبادة فحسب، بل هو كذلك كتاب لغة وبيان وتربية فكرية، ومن خلاله يمكن بناء جيل جديد يجمع بين سلامة المعتقد وسلامة اللسان، وبين الفهم الصحيح للغة والإدراك العميق لمقاصد النصوص الشرعية.

وختاماً، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين في خدمة لغة القرآن الكريم، لغة الضاد، وأن يعيد للأمة العربية والإسلامية ملكتها البيانية التي تميزت بها عبر القرون. والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- إبراز المعاني من حرز الأمان، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: 665هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.
- إعراب القرآن للنحاس، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي ببيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، (ت: 577هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى 1424هـ - 2003م
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ .
- التعريفات كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983م.
- الجمل في النحو، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، المحقق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة: الخامسة، 1416هـ - 1995م.
- الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، د. خالد بن عثمان السبت، دار الحضارة للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، 1437 هـ - 2016 م .
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهذلي (ت: 643 هـ)، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م .
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت سنة 538 هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمويه (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1990م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ .
- تفسير الراغب الأصفهاني لأبي القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ) تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسبوني وآخرون، كلية الآداب - جامعة طنط، الطبعة الأولى: - 1999 م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: 1206هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى 1997م.
- دستور العلماء ، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق 12هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.
- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت: 180هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
- مختصر المعاني، لسعد الدين التفتازاني، الناشر: دار الفكر، الطبعة : الاولى 1411هـ.
- معاني القرآن للفراء، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: 207هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى .

أثر القرآن الكريم في تنمية الملكة النحوية

- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر ، دمساحد بن سليمان بن ناصر الطيار ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1427 هـ
- مقدمة ابن خلدون ، لعبد ارحمن بن خلدون،(ت808هـ) دار ابن الجوزي القاهرة، الطبعة الأولى سنة 2010م.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، للشيخ محمد الطنطاوي رحمه الله، المحقق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، الناشر: مكتبة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى 2005م-1426 هـ .

والله أعلى وأعلم ، صلى الله على سيدنا محمد وسلم.